مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 24 /كانون الاول/2025
المجلد(6)- العدد(4)-الجزء(1) IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals

مظاهر الحُزن في أشعار أبي البَقاء الرنديّ – دراسة تحليلية

م.د. أحمد مهدي حمد
كلية التربية الاساسية – جامعة واسط

الكلمات المفتاحية: الحُزن ، أبي البقاء الرندي ، الأندلس ، الدراسة التحليلية

الملخص:

يحاول هذه البحث ملامسة مظاهر الحزن في أشعار أبي البقاء الرندي، وهي درسة تحليلية هدفها الأول تسليط الضوء على الحزن و أثره في قصائد الرندي، و تجربته الشعرية، مع الكشف عن موضاع الحزن في تلك القصائد، كما يهدف البحث إلى إظهار القيمة الفنية لتلك القصائد ، و لإبراز أهداف هذه الدراسة اعتمد الباحث على المنهج النفسي في مواضع معينة بوصفه أكثر المناهج إرتباطاً بظاهرة الحزن، مع الارتكاز الكلي على المنهج الوصفي التحليلي في تحليل هذه النصوص وإظهار خصائصها الفنية، والأساليب البلاغية التي أبدع الشاعر في توظيفها ، كما شكلت هذه الظاهرة حضوراً بارزاً و ملفتاً في أغلب التجارب الشعرية عند الرندي، لأنها كانت ذا دوافع ذاتية و موضوعية و التي ادت إلى تفشي هذه الظاهرة في شعره ، كما تسهم هذه الدراسة إسهاماً كبيراً في فهم كيفية تجسيد الحزن في الشعر العربي، وتسلط الضوء على البعد النفسي والجمالي لتجربة الحزن عند الرندي، مما يعزز قيمة هذا النوع من الأدب في سياق الدراسات الأدبية .

المقدمة:

إن الحديث عن أشعار أبي البقاء الرندي هو حديث مطول، يعود بنا إلى أيام الأندلس، هذه الأيام التي كانت زاهية و زاهرة في جزء، وكانت منكوبة ومفككة تعاني من القتال و الفتن والاستغلاب في جزء آخر، ومن هذه النكبة والتفكك والفتن، برز لون أدبي في الأندلس، إلا وهو شعر الحزن، هذا اللون الذي شاع وانتشر بسرعة كبيرة نتيجة لتحديات كبيرة عاشتها الأندلس في فترات معينة، هذه التحديات التي كان الشعراء يحسون به ويذكرونها في أشعارهم لتنبيه الناس لمخاطر المترتبة عليه ، وكان من بينهم الرندي .

ففكرة الحزن عند الرندي هي فكرة أساسية و تمثل تجربة إنسانية عميقة عنده، ونجده استند على الحزن كأحد أصدق الأداوت التي تمثل التجربة الإنسانية الصادقة هذه التجربة التي ولدت مشاعر عمية ترجملها إلى أرض الواقع، وكان للحزن مكانة مرموقة داخل نفس الرندي الإنسانية ، فهو مرآة عاكسة للنفس الإنسانية، وهو ايضاً ظاهرة بارزة عند الشعراء .

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على بواعث هذا الحزن عنده وإظهار الجوانب العاطفية في نتاجه ، و الولوج إلى ذلك سلطنا الضوء على النصوص الشعرية في مختلف الأغراض و عرض الدلالات التي تحمل نبرة الحزن بين المفردات ، مع الإفادة من المنهج الوصفي التحليلي في تحليل هذه النصوص و بيان الخصائص الفنية .

التمهيد :

الحزن لغة : جاء في لسان العرب " حزن : الحُزْنُ والحَزَنُ: نقيضُ الفرَح، وَهُوَ خلافُ السُّرور ، قَالَ الأَخفش: وَالْمِئَالَانِ يَعْتَقِبان هَذَا الضَّرْبَ باطِّرادٍ، والجمعُ أَحْزانٌ " (ابن منظور، 1999 ، ص111) .

وعرفه صاحب كتاب العين : " حزن: الحُزْن والحَزَن، لغتان [إذا ثقّلوا فتحوا، وإذا ضحّوا خفّفوا، يقال: أصابه حَزَنٌ شديدٌ، وحُزْنٌ شديد] ، ويقال: حَزَنَني الأمرُ [يَحْزُنُني فأنا محزون] وأحزنني [فأنا مُحْزَنٌ، وهو مُحْزِنٌ] " (الفراهيدي ، 2003،ص160) .

ومن مرادفاته هذا الكلمة هي : الأسى، والأسف، والبث، والترح، والحسرة، والسدم، والشجن، والشجو، والغم ،والكآبة، وغيرها كثير في المعجمات العربيّة ، وقد وردت هذه اللفظة كثيراً في القران الكريم ومنها في قولع تعالى : " تولوا وأعينهم تفيضُ من الدمع ِحَزناً " (التوبة ، 92) .

الحزن اصطلاحًا : الحزن هو تجربة عاطفية عميقة الأنكسار ، فهي مرآة عاكسة لصراعات الشاعر مع مشكلات الحياة من (فقد و خيبة وحنين و غربة) ، وهذا ما لمسناه في نتاج شاعرنا الرندي ، وعرفه الجرجاني بإنه " عبارة عما يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي " (الجرجاني ، 1983 ، ص 86) ، والأدب العربي حافل بعبارات الحزن و دلالته داخل النص الأدبي سواء كان شعري أم نثري .

و ظاهرة الحزن تُعد من أكثر السمات الشعورية التي انطبعت داخل النصوص الشعرية في الأدب العربي و على مدى عصورة الطويلة ، فهي ظاهرة أدبية أصيلة و متجذرة لنظراً لتجذر المشاعر داخل نفس الشاعر .

و هناك فرق كبير في التعبير عن الحزن بين أن تعيش المأساة و أن تدركها ، وهو نفس الفرق بين أن تكون حزيناً وأن تدرك معنى الحزن ، فبين الرؤية الغائمة و الادراك الناصع يتراوح الوجود بين ظاهر مائل للعيان و مدرك كلي ، وفي الشعر العربي استفاضت نغمة الحزن حتى صارت ظاهرة تلفت النظر ، بل يمكن أن يقال ان الحزن قد صار محورا أساسيا في معظم ما يكتب الشعراء (اسماعيل ، د.ت ، ص 350 – 353) .

و تُعد مظاهر الحزن و الألم في الشعر العربي من أهم الظواهر الأدبية ، و وجدت مع وجود الشعر العربي في العصر الجاهلي ، حيث المقدمات الطللية و البكاء على الديار ، و فراق الأحبة ، فقد عُدت ظاهرة أصيلة و متجذرة منذ القدم و حتى عصر الرندي وإلى يومنا هذا .

أما الأندلس فقد وجد الحزن من خلال جوانب متعددة و كثيرة مثل سقوط المدن و الممالك ، و الفقر و المرض التي كانت تعاني منها الطبقة الكادحة ، و كان لغربة الشعراء و ابتعادهم عن ديارهم دور مهم في بروز هذا اللون الأدبي ، و جميع ما ذكرنا أعلاه هي أسباب رئسية تسربت إلى أفكار الشاعر فنتج عنها بروز الحزن بشكل واضح و صريح في أغلب نتاجه الشعري .

. حياتهُ :

هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف يكنى بأبي الطيب وأبي البقاء ، كان فقيهاً لامعاً و حافظاً متفنناً في النثر والنظم ، وله العديد من المقامات ومختصر في الفرائض (التلمساني ، 1997 ، ج 4 ، ص 486) .

ومسقط رأسه رنده إلى الغرب من مالقة، على قمة جبل شاهق يشقها نهر وينابيع وتحفّها وديان، ، وقد رزق أبوه به سنة (٦٠١ هـ) وكان من أهل العلم، ، وذكر منهم على بن جابر الدباج الإشبيلى الذى ظل يتصدر للإقراء بإشبيلية خمسين سنة، كما ذكر مواطن الدبّاج أبا القاسم بن الجد نزيل تونس ، وكانت له صله وثيقة بمحمد بن الأحمر مؤسس إمارة غرناطة، وهى صلة جعلته يكثر من مدائحه. وكان له بجانب هذين الكتابين المتصلين بالأدب شعره ونثره كتاب فى علم الفرائض، وهو يدل-كما قال المراكشى-على أنه كان بجانب ثقافته الأدبية ، فقيها فرضيا حافظا .

ويقول المراكشى إنه كان خاتمة الأدباء بالأندلس بارع التصرف فى منظوم الكلام ومنثوره» وإنه كتب إليه بإجازة ما رواه وألّفه، ويذكر أن له فى النثر مقامات بديعة فى أغراض شتى، كما يذكر أن كلامه نظما ونثرا مدون، مما يدل على أنه خلف ديوان شعر كان معروفا فى زمنه . (ضيف ، ج 8، 1995 ، ص 389) .

وقد بلغتت شهرة أبي البقاء الرندي مبلغاً واسعاً في الشرق و الغرب ، ولاسيما بفضل قصيدته النونية التي أنشأها عقب سقوط أهمّ حواضر الأندلس في قبضة النصارى مثل : قرطبة وإشبيلية وبلنسية وجيان ومرسية ، وما فى حيّز كل منها من مدن ومعاقل وحصون مما تنخلع له القلوب والأفئدة أسى وحزنا لهذا المصير المفجع، لا مصير المدن فحسب بل أيضا مصير السكان المسلمين من رجال ونساء وأطفال ووقوعهم أسرى فى أيد لا ترحم، أيد استعبدتهم وأنزلت بهم أهوالا من العذاب لا تطاق. وكأنما ندب أبو البقاء نفسه عن أهل الأندلس يستصرخ المسلمين لنصرة إخوانهم فى الدين وإنقاذهم من يد الكافرين الآثمين . (ضيف ،1995، ج 8، ص 39) .

اساتذته :

وكان من أهل العلم، ولذلك سلكه المراكشي بين أساتذته، وذكر منهم على بن جابر الدباج الإشبيلى الذى ظل يتصدر للإقراء بإشبيلية خمسين سنة، كما ذكر مواطن الدبّاج أبا القاسم بن الجد نزيل تونس ، ولم يتتلمذ لهذين العالمين فقط بل تتلمذ أيضا لابن الفخار الشريشى ولابن زرقون الغرناطى. ويذكر ابن الخطيب عن ابن الزبير صاحب كتاب صلة الصلة أنه تتلمذ له، وكل ذلك يدل على نهم فى طلب العلوم والآداب، واتضح ذلك فى جانبين عنده هما التأليف ونظم الشعر،(ضيف ،1995 ، ج 8 ، ص 389) .

مصادر الحزن في شعره :

اولاً : الشعور بالفقد :

في بداية القرن السابع الذي شهد ولادة الشاعر كانت الأندلس قد أصابتها مأساة كُبرى ، ولقد رأى و أدرك ما أصاب أساس هذه البلاد العظيمة من التصدعات و الانهيارات، فبكى كثيراً على ما قد ضاع من الأندلس في شعره في اجزاء و استهض في اجزاء اخرى .

وقد عاش ابو البقاء الرندي تحت ظروف سياسية عصيبة كان قد ورثها من زمان قبله و عاصرها في زمانه ، فسقوط المدن الأندلسية بيد الأسبان و أولها طليطلة المنيعة بيد ألفونسو السادس بداية النهاية في هذه البلاد ، و أنشغال الحكام الأندلسيين بالصراع على السلطة و الاقتتال بينهم نتج عنه شيئاً من الشعور بالحزن و الفقد لديه ، لأنه احسَّ بوطنه يضيع بينما الاخرون يتقاتلون على السلطة ، فولد الشاعر وجزء من وطنيه كان بيد الأسبان .

وكانت صرخته صيحة في جملة صيحات الاستغاثة و الاستصراخ ، أثمرت من بعد ذلك في التعاون بين بني مرين (حكام المغرب) و بني الأحمر (ملوك غرناطة) و دام هذا التعاون مدة طويلة من الزمان و استقرت فيه الاندلس . (الداية ، 1976 ، ص 13) .

وفي حياة الرندي كان قد استحفل حكم ألفونسو الثامن قائد معركة العقاب التي انهزمت فيها جيوش الأندلس و كانت هي البداية للسقوط الكبير ، فسقطت دول و مدن كبيرة بيدهم و في الفترة التي عاش الشاعر و أكثر من اي فترة عاش فيها شاعر أخر و الذي كان قد شارك الرندي في مصائب سقوط المدن .

و إذا انتقلنا ببوصلة الدراسة و البحث عن اسباب الحزن و الفقد عند الرندي من المغرب العربي إلى المشرق وجدناه يعاني ظروف سياسية و اخرى اجتماعية ، فالجانب السياسي كان قد تمثل بالحملات الصليبية و التي استهدفت اقطار عدة ومن اهمها بيت المقدس و في حروب ضروس ، أما الحكم العباسي في المشرق فقد سقط سنة (656 هـ) حين وصلت هجمة المغول على بغداد حاضرة الحكم العباسي ، فعاثوا في الأرض فساداً وخربوا كثيراً من معالم الحضارة الإسلامية، و هذه هي ابرز الاحداث الساسية التي رافقت الرندي (الداية، 1976 ،ص 23 – 24) .

أما الحياة الاجتماعية فكانت بنفس سوء الساسية فقد كانت غرناطة مكتضة بالمسلمين النازحين من بطش الأسبان وقد حدد عدد من الباحثين أن مدينة غرناطة استقبلت في تلك الفترات أكثر من خمسة أو ستة ملايين من الأنفس و كانت غرناطة وحدها تضم أكثر نصف مليون نفس ..

ووسط كل هذه نشأ الرندي و عاصر هذه الاحداث ، فأحس و شعر بالفقد ، و الذي انعكس ماشرة على نتاجه الأدبي (الشعر) ، هذا النتاج الذي كان في أغلب الابيات و القصائد لا في موضوعات محددة ، و هذه ما بث فيه جمع المؤرخين من نبرة و اضحة في الحزن و الشعور بالفقد في أغلب قصائدة الشعرية ، و نلحظ في أشعار الرندي إنها مرآة عاكسة لمشاعر تعبر عن الفراق بشكل كبير ، هذا الفراق الذي كان سببة الأحبة أو الأماكن التي أرتبط بها سابقاً و التي هي عنصر توليد حي لجميع ذكرياته .

وهذا الفقد لمسناه في كثير في القصائد عندما صرح به مراراً و تكراراً وخصوصا فقد وطنه و احبته ، ومنها قصيدة يوصي بها أحد اصدقائه بكتابتها على شاهد قبره إذ يقول : (الداية ، 1976 ، ص 37) .

خليلي بالُودِ الذي بيننا اجعلا إذا متُ قبري عُرضةً للترحم

عسى مُسلمٌ فيدعو برحمةٍ فإني مُحتاجٌ لدعوةِ مُسلمِ

يكشف الشاعر في هذه الابيات عن تجربة الفقد و الفراق ويضعها في أطار الحزن ، فيعكس لنا عمق الحزن الذي انطوعت عليه نفسه ، و دلالة الحزن واضحة في هذه الأبيات عن طريق استخدام كلمة (عسى) للدالة على الرجاء و الترجي و طلب الدعوة من كل مسلم بصورة محببة ، فقد سيطر الحزن على الجو العام للقصيدة ، وبدأها بمخاطبة أحبته الذين يودهم و يودونه وفق مبدأ الرجاء منهم ، و عبارات الفقد بارزة في النص (الود – عسى) هي لإستعطاف الأحبة بعد موته و يخاطبهم و يحتاج إليهم حتى بعد وفاته ، وهذا يفسر المرحلة الصعبة التي مر بها من مراحل الفقد ، فهو دائم الحاجة إليهم في شؤون متعددة منها الدعاء بعد الموت .

و نجدُ ظاهرة الفقد عنده هو الشعور بالنقص هو ومن حوله من الناس ، فالكمال المعرفي عنده و عندهم مفقود ، و يحتاج إلى الفهم و الإدراك ما في الوجود من حقيقة فعلية ، إذ يقول : (الداية ، 1976 ، 43)

ما بالُنا نغترُ بالأذهــانِ و نغرها بمطالب البُرهـانِ

ونقيس كي ندري لكل عـلة ونروم شيئاً ليس في الإمكانِ

ونروم معرفة الإلهِ وإنمـا نبغي الكمال بغاية النُقصانِ

ما في الوجود إذا أردت حقيقةٍ إلا الإلهُ وكل شيء فـانِ

أستخدم الرندي في هذه القطعة الأضداد لإثراء المعنى وللكشف عن الحالة النفسية الصعبة التي كان يمر بها الشاعر بدلالة استخدامه لل (الكمال و النقصان) ، وكما أعتمد الشاعر في هذه القصيدة على البرهان بالتوحيد ، لأن أغلب أهل زمانه قد أصابهم شيء من الشك و الأنحلال ، فأثارت هذه المواقف الحسرة و الألم في نفس الشاعر ، لذلك وجد الشاعر في طرح فكرة التوحيد عبر أشعاره وسيلة لإفهام الناس حقيقة هذا الوجود ، ولأن الفقد و الضياع كان قد سيطر على الجو العام في ذلك الوقت ، فالبرهان هي أداة للقياس عنده وعند من فقد شيء في حقيقة الوجود ، و هو مقياس بعيد عن الحقيقة المطلقة ، و الجو المسيطر على القصيدة هو جو مؤمن بالحقيقة المطلقة المثبتة منذ ألاف السنين ، ونبرة الحزن بالفقد و الضياع كانت حاضرة في أجزاء من القصيدة عبر عبارات مبثوثه فيها منها عندما عبارة عن (الفناء) ، كما استخدم في هذه القطعة قافية النون وهي القافية المحببة لديه في التعبير عن الفقد والضياع و الحزن ، وهي نفسها المستخدمة في قصيدة رثاء الأندلس ، ومن صور الفقد عنده طلبه المبطن

للأعطيات و الهدايا عندما أشتد عليه زمانه ، و المعروف إن الشاعر لم نجد له طلباً صريحاً للعطاء ولكنا نحد مثل قوله : (الداية ، 1976 ، 59)

إذا ما ضاقت الدُنيا بحُرٍ كفاهُ لثمُ كفك و السلامُ

رسمَ الرندي في هذا البيت ملامح معينة من الألم و الحزن عبر عبارات خط بها للحزن و الفقد طريقاً له ، فحالة الضيق التي مر بها و صرح بها في النص هي دليل صارخ على معاناته وحزنه المتكرر عبر النصوص ، و البيت فيه نوع من الحكمة و الموعظة عندما تضيق الدينا بحر ، و سمات الحزن جلية في النص أعلاه و هي سمات مزجت بالحكمة و الموعظة وتحديداً في عجز البيت ، وهو أسلوب جبله عليه الشاعر في كثير من الأغراض و الموضوعات ، حتى أصبح ظاهرة أصيلة في شعره ، وحتى عندما يخاطب من يحبهم فإنه دائم الفقد لهم متوجع لحاله و ووضعه فيقول : (الداية ، 1976 ، 99)

يا سالب القلب مني عندما رمقا لم يُبقِ حُبك لي صبراً و لا رمقا

لاتسأل اليومَ عما كابدت كبدي ليتَ الفراق و ليت الحُب ما خلقا

تكشف هذه الابيات معاناة الشوق و ألم الفقد عند الرندي ، و لغة النص غنية جداً بالفقد و التوجع الممزوجة بالحزن ، فالشاعر في هذه الأبيات يصور لنا حاله بأسلوب يسيطر عليه التفجع و التوجع وتحديداً عندما بدأ هذه الابيات بالنداء عبر الأدارة (يا) و هو يستخدم أسلوب النداء لطلب إقبال المنادى ولفت انتباهه في هذا النص ، كما سيطرت الأساليب البلاغية على النص و تحديداً البديع عبر أدواته للإفادة منها في التلوين الصوتي و لتزيين المعاني حتى تنقل المتلقي من حال إلى حال ، ومن هذه الضروب و الأساليب هي الطباق و الجناس في عبارة (رمقا – رمقا) و التكرارات في (ليت – ليت) ، كا شمل النص على اشتقاقات في(كابدت - كبدي) ، و حتى هذه الاشتقاقات هي ذا نزعة حزينة في داخل القطعة الشعرية ، وغاية الشاعر من اللجوء إلى هذه الأساليب البلاغية في هذه الابيات ، هو لتعزيز النص و معانيه وإظهاره أكثر دقة و أقناع للمتلقي ، إظافة إلى ذلك هي لإثارة الاستجابة العاطفيه لديه .

و قصائد الفقد و الحزن و الوجع كثيرة ، ومنها قوله في مربعاته : (الداية ، 1976 ، 100)

كم دُعينا لغيركم فأبينا

وضحكتم تدلُلاً فبكينا

يا قساة القُلوب رفقاً علينا

ما خُلقنا بين الأنام حديدا

استهل الرندي هذه القصيدة بالحكمة الممزوجة بالحزن، ولغة الفقد عالية في هذه المربعات وتحديدً في الشطر الثاني عندما خاطب قساة القلوب بصورة الشاعر المفجوع المتوجع ، و أسلوب و مظاهر الحزن متجذرة في هذه الكلمات عبر أستخدام الشاعر الأضداد في (ضحكتم – بكينا) و هدفه إثراء المعنى و تقوية النص عبر تماسك جمالية النص مع قوة التعبير ، حيث تعمل على إظهار التباين بين المصطلحات و المفاهيم المتناقضة ، فالتنوع في نتاج الشاعر الشعري ، وقدرته على أبراز ظاهرة الحزن في أغلب نتاجه الشعر هي دليل حي على تغلغل أسلوب اللاشعور عنده ، فقد أنجرف فيه و تعمق ، فظهرت كل كلماته حزينة و متوجعة .

ثانياً : غربته :

كان الرندي كثير التغرب و السفر في داخل الأندلس ، و تحديداً سفره إلى غرناطة ، وهذه ما أكده لسان الدين من كثرة سفره للتردد على امراء البلدان ، كما كان له بعض الرحلات الخارجية و تحديداً إلى المغرب ، و يقول في احدى قصائده و هو يحن فيها إلى الأندلس فيقول فيها : (الداية ، 1976 ، 41)

بلغْ لأندلسِ الزمانِ وصف لها ما بي من اشواقٍ وبُعدِ مزارِ
واذا مررت برندةٍ ذاتِ المُنى و الراحِ و الزيتون و الأزهارِ
سلمْ على تلكَ الديار و أهلها فالقومُ قومي و الديار دياري

يعاني الشاعر كثيراً من الأغتراب ، الذي كان يمزجه دائماً بالتشوق ، واذا امعنا النظر والتحليل في هذه الابيات نجد إن الفترة التي قضاها الرندي في المغرب طويلة ، وهذا ما أكده لنا من خلال استخدام ألفاظ تدل على كثره بقائه في هذا البلاد ومنها (بُعد – سلم) هي ألفاظ ظاهرية وظفها الشاعر للدالة على بعد المسافة بينه وبين الأندلس من جهة ورندة من جهة اخرى ، كما نلحظ لاستخدامه لأساليب بلاغية كالتكرار و تحديدا في الأبيات الأخيرة (القوم – قومي) و (الديار – دياري) ، كما بدأ الرندي بتشوقه بتسلسل هرمي بدأها بالأندلس ثم مدينه وصولاً إلى القوم ، وفي قصيدة اخرى قالها بالعُدوة متشوقاً إلى الأندلس و الأهل و الوطن ، يقول فيها : (الداية ، 1976 ، 41)

يانسيماً هبَّ من أندلسٍ فتلقت طيبه ريحُ النعامى
آهِ من شوقي لقومٍ ما جرى ذكرهم إلا جرى دمعي سجاما

ينادي الرندي في هذه الابيات الأندلس عبر أداة النداء (يا) وهي لنداء القريب ، لأن الرندي أحس إنه كلما ابتعد عن الأندلس فإنها قريبه منه لذلك لجأ لهذه الأداة كثيراً في مقطوعاته

الشعرية، والهدف منها هو أثارة مشاعر المتلقي المختلفة تجاه النص و كان من أهم هذه المشاعر هي الحزن ورموزه و ما يحمله من ألفاظ هي كثيرة جداً في هذه الأبيات ، ونزعة اللوعة والتشوق و الغربة شاخصة عبر ألفاظ وظفها الشاعر لنفسه ليثير هذه التشوق ويأخذ المتلقي بعيداً إلى هذه البلاد عبر رمز النسيم الذي هب من الأندلس ، و من الألفاظ التي دلت توجعت حزنة و تربعت على القصيدة هي عبارة (آهٍ) للتعبير عن مشاعر قوية في النص كالأسى و الألم و لتأكيد فكرته في الحزن ، و لإضافة إيقاع مميز على جو القصيدة العام .

وكما أشرنا سابقاً كان الرندي كثير السفر داخلياً و خارجياً ، وكثرة الترحال هذه كانت لها أثر في نفسه ، فولد لديه شيء من التشوق لوطنه و دياره ، وهذا التشوق لم يبقِ في داخله بل أخرجه على شكل قصائد و مقطوعات عبرت عن حزنه و معاناته ، ومن تلك القصائد قوله في تهنئة بقدوم من سفر : (الداية ، 1976 ، 62)

يا ليلةَ الأنسِ كم أدنيت من أملٍ أشهى و أعذب من أمنٍ على و جلِ
وكم تعللتُ باللقيا على شغفٍ و في التعلل ما يشفي من العللِ

نلمس أن أجواء الحزن تسيطر على القصيدة ابتداءً من المقطع الأول عندما خاطب ليالي الأنس التي كان يشتاق لها ، والتي توحي حالياً بالأسى و التعلل عنده فجمع بين الأمل و الألم في البيت الأول ، ثم دخل النص بعد ذلك من الأمل رغم المعاناة ، و الشاعر في هذه الأبيات رغم غربته و حزنه ، إلا أنه شعورٌ مؤقت عنده يزيل من أول لقاء بمن يحبهم و يلقاهم وهذه الفكرة لمسناها و أكدها لنا الرندي في الشطر الثاني من البيت الثاني عدما رأى أن التعلل يشفي العلل مع مرور الأيام ، فاللقاء عنده كفيل بأزالة كل الألم التي صحبته في سفرة و تعلل منها ، كل هذا التعلل يشفى دائماً عنده عندما يعود إلى وطنه ، وكما هو الحال في أغلب قصائده ظل الرندي وفياً لعادته في أستخدام أساليب بلاغية محببة له إلا و هو التكرار .

ثالثاً : الوحدة و العزلة :

كان الرندي من أكثر الشعراء الذين يعانون من الوحدة والعزلة في الأندلس، فالوحدة عنده وجدت لوجود عوامل كثيرة منها السفر الذي كان عامل مهم في وحدته، وأما العزلة التي كان يشتكي منها كان سببها سقوط المدن و فراق الأحبة وهذا ما فسره ولمسناه في رثاء المدن و الزوجة و الابناء، وخصوصاً إنه كان كثير السفر و الترحال داخلياً و خارجياً ، وهذا ما أثار هذه الظاهرة في أشعاره والتي هي أحد مسببات الحزن لديه ، وأكثر قصائد الرندي في هذا النوع نجدها في

غرض الغزل ، إذ لجأ الشاعر إلى مزج الغزل بلون الحزن و الحسرة و التقطع و الأنعزال في بعض أيام حياته .

و نلتمس في هذا النوع من الأشعار عند الرندي هو قدرته العجيبة على طرح هذه الأفكار داخل النص ، ليقود المتلقي إلى عالم أخر من التفجع و التوجع و الأنعزال ، فهو خبير في طرح هكذا أنواع يستحضر المعاني المناسبة للنص ، كما يلحظ تشابك العبارات الرشيقة مع المعاني اللطيفة ، ثم يتحول بعد ذلك إلى ألفاظ قاسية ، وهو نظام أتبعه كثيراً في هذا النمط ، على يصور للمتلقي إن الحياة كثيرة التغير و لا تبقى الأمور على ما هي عليه .

و قد سيطرت المعاني الإنسانية العميقة على نصوصه ، و قدرة مكينة على التغلغل إلى أعماق النفس الأنسانية، كما له القدرة الرائعة على تصوير المواقف بطريقة أكثر درامية ومن ذلك قوله : (الداية ، 1976 ، 65)

قطع قلبي بصده ِقطعا وإنما ضرني وما انتفعا
و غرني أولا بوصلته ِ وعندما لذ وصله ،قطعا
واكبدي لو تُفيد و أكبدي لم يترك الدهر فيه لي طعما
يا ليت قلبي الذي وهب ،له ، يرجع ،لي اليوم كيفما رجعا

قد تمتزج أغراض الشعر الأخرى عند الرندي مع الحزن و مظاهره ، وهذا ماوجدنا في النص أعلاه ، فدلائل الحزن كثيرة و مفجعة في القطعة ، و يبدأ بها من الشطر الأول (قطع قلبي) وعلى طول الابيات الأخرى ، وهذه الكلمة (قطع) كررت كثيراً في عنده وهي دلالة ثابتة على حالة الأنكسار النفسي و حالة الحزن العميقة التي عصفت به ، كما ركز على الأشتقاق و الجناس في قطعته (اكبدي – أكبدي) لخلق موسيقى داخلية في النس لجذب المتلقي و إظهار حالة الأنكسار التي مر بها الشاعر ، كما أعتمد في هذه الأبيات على أسلوب الاسترسال الزمني للأحداث ، ثم يذهب إلى تصوير البدايات الفعلية لهذا الأنعزال و الصد و كيف بدأ بالوصل و أنتهى بالقطيعة و الأنعزال ، ثم تتحول القصيدة بعد ذلك إلى الأنعزال و طغيان نبرة الحزن ، فاخرج لنا قطعة شعرية غاية في الجمال و محملة بالتوجع ، و المطلع على شعره الغزلي ، إنه ضمنه بعض المواضيع الأخرى كالانعزال و الوحده ، و هذه المواضيع توحي بأنه عزل عام أو موضوع عام دون إن يجسد شخصية ما أو يصرح بها بالأسم الصريح .

و المتتبع لنتاج الرندي يلتمس إنه لم يخضع لنظام الموضوع الواحد في القصيدة بل كان كثير الأستطراد في القصيدة الواحدة فلم يتحدث عن الغزل وحده ، بل دخل فيه موضوعات أخرى

بعيداً عن الموضوع الأصيل ، وهذه الموضوعات الجانبية تتصل مع القصيدة و تشتبك معها في المعنى و المقصد ، ولكنها تشعرك بأن القصد الغزلي في القصيدة مشوب بتطريزات جانبية تلطف من حرارته و تظلل نصاعته وكما وضح ذلك محمد رضوان الداية عندما تحدث عن الرندي ، و يقول في أبيات له : (الداية ، 1976 ، 66)

لا طلبتُ الثأر منها ظالماً و أنا القاتل نفسي بـيدي
نظرت عيني لحيني نظرةً أخذت رُوحي و خلت جسدي

سبقت هذه الأبيات ابيات كثيرة يتحدث عن الغزل و المدح ، فيمزج فيها اللوعة و الحزن بسبب من يحب و هذا ما دفعه مراراً و تكراراً إلى محاسبة نفسه و لومها بدلالة قوله (أنا القاتل نفسي بـيدي) ، و هذه المحاسبة قد ولدت له شيء من الأنعزال المكاني من الناس ، فعاش الشاعر في جزء من حياته وهو يشعر بالوحدة و العزلة و لوم نفسه ، حتى اضحى جسماً لا روح له وهذا ما صرح به في الشطر الثاني من البيت الثاني ، فالجسد بلا روح هو أعلاه مراحل الإنعزال و الانكسار التي قد يمر بها الأنسان ، وهذا يفسر قوله عجز البيت من البيت الثاني عندما صرح بنبرة حزن واضحه عندما أخذت روحه و ابقت على جسده فقط ، وفي قصيدة غزلية آخرى يقول فيها مزج تحس باللوعة و الحسرة فيها منذ الكلمة الأولى فيقول : (الداية ، 1976 ، 67 – 68)

عللاني بذكر تلكَ الليالـي وعُهودٍ عهدتها كـاللآلي
لستُ أنسى للحُب ليلةَ أنسٍ صال فيها على النوى بالوصالِ
يا ليالي مني سلامٌ عليـها أتراها تعود تلك الليـالي

في هذه النص الشعري يتمنى الرندي أن تعود تلك الليالي الجميلة التي مرَ بها و لطف و جودها في حياته ، فهو دائم التذكر له كثير الرجوع إليها ، كيف لا و هي ليالي أنس صال الوصال فيها بعيداً عن الوحدة التي يمر بها في اثناء قول هذه القصيدة ، هذه الليالي التي كان يفقتدها كثيراً في حياته لذا لجأ إلى تكرارها في البيت الأول و البيت الأخير للدلالة على حالة الفقد لتلك الليالي ، كما لجأ على الأشتقاق لإثراء الايقاع الداخلي و لتعزيز الموسيقى الداخلية للنص ، كما جعل الشاعر في هذه القصيدة عنصر التشخيص من أبر عناصرها ، فهو يخاطب الليل و يعاتبه كأنه شخص يقف أمامه،عبر أداة النداء (يا) ، و يستخدم الرندي النداء لإضفاء العمق العاطفي على قصائده وخلق صور شعرية مؤثرة لتلك القصائد ، و يحاوره كحوار الحبيب لحبيبه طالباً منه

عودة الليالي و الوصال الجميل بعيداً عن العزلة التي يمر بها ، هذه العزلة التي سيطرت عليه و على نتاجه الشعري و برزت في جميع أدواته التعبيرية .

وفي قصيدة اخرى يطلب منه أن يتطلف عليه و يرفق به ؛ لأنه روحي تكاد تخرج من جسده و إن نفسه قد تلفت وأصبح جسماً لا روح فيها ، بأبيات يتوجع فيها و يتألم على الرغم من إنها ابيات غزلية فيقول فيها : (الداية ، 1976، 69 - 70)

وكنتُ في كلقي الداعي إلى تلفي مثل الفراشِ أحبُ النار فاحترقا

انظُر إليَّ فإن النفسَ قد تلفت و ارفق عليَّ فإن الروح قد زهقا

إن الحالة التي وصل لها الشاعر هي حالة مخيفة ، ولدت له ما هو أبعد من الحزن ، وهو اليأس و الاحتراق الداخلي ، و بدلالات كثيرة منها ما موجود في الشطر الأول من البيت الأول عندما شبه حالة و صورها وهي في احتراق داخلي مميت ، ثم يستمر الحزن بعد ذلك و يصل إلى البيت الثاني وأوحى إلى الحزن بعبارة (الروح قد زهقا) و هي أعلى مرات الحزن التي يمكن إن يصل إليها شاعر ما ، لما لها من دلالات و أشارات على حالة العزلة و الفقد التي كان يمر بها .

رابعاً : التأمل في الحياة و الموت :

يتأمل الرندي في هذه الحالات ، للتعبير عن مواقف مختلفة تتراوح بين الحياة و الدنيا الزائلة و دوام العز و الحال ، حيث يمثل الموت أعلى الحقائق الوجودية المحتومة التي تدفع الشعراء في كثير من الأحيان إلى التفكر في الحياة و الموت و معنى الوجود ، و ظهر الموت كنتيجة حتمية لحياة الانسان في كثير من القطع الشعرية عند الشعراء بصورة عامة و ابو البقاء الرندي بصورة خاصة ، و الموت واحد من أسباب الحزن لديه ، فالتفكر في الحياة و الموت و فقد من يحبهم ، أثار الحزن لديه فأنعكس على قصائده ، و هذا التأمل عنده دائماً ما كان يدخله بمداخل الحكمة و التسليم بقضاء الله و قدره ، بأسلوب فيه شيء من الحزن و الغصة في القلب ، و شارك الرندي في أغراض شعرية كثيرة ، و كانت هذه المشاركة هي جانبية في بعضها ، ولم تكن ضمن دائره أهتماماته ، كشعر الحكمة و الهجاء ، ففي نظره ليس له الوقت لهجاء أحد ، و شعر الحكمة كان مقل فيه، وقد كان شعر الحكمة يمزج مع بعض الاغراض و في مناسبات مختلفة كالفواجع أو لحظات الاعتبار و الزهد بالحياة الفانية ، كما وضحها محمد رضوان الداية ، ومن هذه المواضع كان يبرز لنا شعر في شيء من التأمل في الحياة و الموت بأسلوب الحكمة ، ومن ذلك قوله : (الداية ، 1976، 81)

إذا كان أمرُ الله للمرءِ طالباً فقد هانَ مطلوباً و قد عز طالبُ

ألا إنما الدُنيا خيالٌ وأهلها بها عرضٌ و الدهر بالكل لاعبُ

نرى في هذا النص الشعري تولد عبارات وأبيات الحزن في ديوان الرندي ، حتى تجاوز ذلك الحزن الأسطوري الذي سيطر على مفرداته و أغراضه الشعرية ، ووصل إلى شعر الحكمة و التأمل في الحياة و الموت ،والحكمة و الموعظة عنده غلب عليها طابع الحزن بدلالة قوله في الشطر الثاني من البيت الثاني (و الدهر بالكل لاعب) إشارة إلى تقلب الزمان الذي لا يفرق بين الناس ، وهذا ما لمسناه في البيت الاول و البيت الثاني ، حيث داعياً المتلقي و من قبله أهل زمانه بدلالة قوله (إذا جاء و عد الله ، فقد هان هذا الطلبة و عز طالبه) و ايضاً للحالة المأساوية التي وصل إليها الرندي ، ثم يستمر على نفس منوال القصائد السابقة في تسفيه الدهر و حوادثه وأيامه المتقلبة ، وكيف إنه لعوب بنا كيف ما شاء ، كما أورد الرندي بعض الأساليب البلاغية في نصوصه ، و استخدمها للوصول إلى الفكرة المطلوبة منها التكرار في كلمة (طالب) في البيت الاول و الاشتقاق في (طالب و مطلوب) في البيت الثاني ، من أجل أضفاء الجمال الموسيقي و اللفظي على النص .

و ينطلق بعد ذلك الرندي في ميدان الاسترسال و يستمر في وصف هذه الدنيا الزائلة ، فالقابض عليها لا يلوي على شيء فيقول : (الداية ، 1976 ، 81)

ألا أيها البطال ُكم أنت ِعاقلٌ كأنك عن هذه المشارب غائبُ

ألا فانظر الدُنيا بعين ٍبصيرةٍ فللترك ِيا مغرور ُما أنت ِكاسبُ

ألم ترَ أن الموت أكبر ُشاهدٍ على أنه ُلا يغلب ُالله غالــبُ

نلحظ إن الرندي بدأ هذه القطعة الشعرية بالهمزة الاستفهامية في جمع الابيات ، لإظهار دلالات كثيرة منها القدرة على توجيه النص من حالة السرد إلى حالة الحوار التفاعلي بينه وبين المتلقي مما يخلق جو شعري جاذ، كما توفره هذه الهمزة حوار تخيلي مع شخصية ما تحاول إقناعه بشيء ما ، وهذا ما وجدنا من تساؤلات فيسأل الناس و ثم يسأل الدنيا و بعدها يسأل الموت ، عن هذه الدينا التي تغر الأنسان و كيف إن المصير هو مصير و احد و محتروم ، وكما للهمزة الاستفهامية دلالات فإن للحزن دلالات ايضاً في النص ، وهو ما صرح به الشاعر في البيت الثالث عندما أقر بإن الموت هو النهاية الحتمية لكل شيء ، و لم يركز الرندي على زوال العمر و الأنسان فقط في نتاجه الشعري ، بل وصل به الحال إلى تصوير زوال العز عمن يظن دوام العز لهم كالملوك و أمثالهم ومن ذلك قوله : (الداية ، 1976 ، 82)

أين الملوك ُو أبناء الملوك ِوما شادوه من أثرٍ شـدوه ُبالأثر ِ

وأين ما حجبوه في مقاصرهم　　من أوجه ٍزُهر ٍكالأنجم الزهر ِ

يتسائل الشاعر في هذه الابيات كثيرا و عبر الادوات المتوفرة لديه و يكرر تسائله في الشطر الثاني من البيت ،حيث يسهم التكرار في تشكيل ترابط قوي بين الابيات فقد دلت الكلمة على بؤرة جديدة لتكون معنى جديد في كل استعمال .

ولجأ الرندي لهذا التكرارلاعتبارات كثيرة منها تأكيده على إنها وسيلة تعبيرية مهمه توضح و تكشف عن خبايا النص ، و لخلق جو من الحوار التفاعلي ، فيخرج تكرار (أين) من الصيغة التقليدية ، إلى صيغ حوارية ، و الرندي لم يكرر لفظ بعينه أو عبارة بنصها ، لكنه كرر في هذه الأبيات فكرة مشابه في المعنى و المغزى وردت في قصيدة (لكل شيء إذا ما تم نقصان) ، وهذا يوضح لنا مدى تعلق الشاعر و تعمقه بالتكرار كفن بلاغي ، إذ يساهم عنده في تعزيز الفكرة و المعنى ، و إظهار الأفكار الرئيسية .

خامساً : الرثاء (المدن و الأشخاص) :

الرثاء عند الرندي أنقسم إلى قسمين الاول هو رثاء المدن و البلدات و هو الكثير في شعره ، و الثاني هو رثاء الأشخاص و هو قليل إلى حد ما في نتاجه ، فالنوع الأول ظهر في الأندلس بعد سقوط المدن الأندلسية بيد الإسبان و الحرب التي دارت بيهم ، فقد صور الرندي هذه الوقائع تصويراً يهدف إلى إبراز ملامح هذه النكبات بفقدان أجزاء من وطنهم ، و يضمنها بتحريض أبناء قومه على الصمود و مواصلة القتال ضدهم ، كما كان يكثر من مناشدة المسلمين من لعُدوة لإنقاذ الأندلس و المشاركة في هذه الحرب التي فرضت عليهم .

يُعد الرندي واحداً من ادباء القرن السابع ، الذي شهد تهاوي المجد الأنلدسي منذ بدايات هذا القرن ، ومن أشهر قصائد الرندي في هذا الغرض هي قصيدته المطولة (رثاء الأندلس)،التي عُدت من أفضل قصائده و أشهرها ، و نحن لا نريد الخوض فيها و لا فيه مضماينها ، فقد سنشير إليها في بعض الأبيات الخاصة برثاء المدن ومنه قوله : (الداية ، 1976 ، 91 - 94)

أعندكم نبأٌ من أهل أنـدلس ِ　　فقد سرى بحديث ِالقوم ِرُكبانُ
تبكي الحنفية البيضاء من أسف ٍ　　كما بكى لفراق ِالإلفِ هيمانُ
على ديارٍ من الإسلام خاليـة ٍ　　قد أسلمت ولها بالكفر عُمرانُ

و المتتبع لقصائد الرندي يجد إن الاستفهام في قصائد الرثاء أصبح ظاهرة و كأنه أسلوب أعتاد عليه الشاعر ، وكأنه أسلوب طبع عليه الرندي في أغلب قصائده ، و عسى أن يحرك هذا الاستفهام شيء في الناس ، فالبكاء و الرثاء و الحزن و مسبباته هي الجو الطاغي على هذه

القصيدة المطولة ، و علامات الحزن كثيرة في هذه القطعة منها لفظة (البكاء) في البيت الثاني الذي كررها في موضع اخر من نفس البيت للإشارة إلى الحالة الصعبة التي وصل لها الشاعر ، كما جمع بين الأضداد في البيت الثالث (الإسلام و الكفر) لإبراز الصراع الداخلي و الخارجي و لإبراز المعنى .

و إما النوع الثاني من الرثاء ، هو رثاء الأشخاص ، هذا الرثاء الذي يختلف في مواقفه النفسية بحسب اختلاف المرثي ، فنجد في رثاء الأقارب عند الرندي حرارة اللوعة وذوبان النفس ، و في رثائه للأمراء بارتفاع صوت البكاء دون أن نحس بانسكاب الدموع ، و يتنقل الشاعر بين الماضي و الحاضر في هيكل ألفاظ القصيدة من حاضره إلى ماض سابق كانت فيه للمرثي مآثر و مفاخر ، و هو يطيل الوقوف على الماضي مُستنجداً به لإثراء الحديث عن الحاضر ، ومن تلك المراثي رثاء زوجته فيقول : (الداية ، 1976 ، 77)

مضت مُضي الصبا عني و لا عوضٍ　　ومن يقومُ مقامِ الشمس و القمرِ
حتى رمى البينُ شخصينا ففرقنا　　كما تفرق بين العينِ و النظرِ
يا قلب صبراً على ماقد فُجعت به　　فلست في دفع مقدورٍ بمقتدرِ
لا تبكِ فقد حبيبٍ أنت تابعهُ　　إذا مضى البعض فالباقي على الأثر

نال الشاعر نصيبه من الحزن نتيجه موت زوجته و ابنه ، فتركوا في قلبه المأسي و الوجع ، و شبه الشاعر في البيت الاول زوجته بإيام صباه وكيف رحلت هذه الأيام عنه و تحولت حياة إلى جحيم ، و يصور لنا في البيت الذي بعده الموت و هو يفرق بينه وبين من يحب بأسلوب العاطفة الفرطة الموجعة ، ثم يعود في نفس هذه القصيدة و تحديداً في أبياتها الأخيرة داعياً إلى التصبر على فقد من يحب ، و صبرٌ نفسه بإنه تابع يتبع حبيبه فيما في قابل الأيام ، و هذا البيت في الحقيقة لا يحتاج إلى إبراز مواطن الحزن فيها لأنه قطعة واحدة من الحزن و البكاء و الحسرة من الكلمة الاولى في البيت الاولى إلى اخر كلمة في البيت الاخير ، فقد سيطر الحزن و الوجع على قلبه و عقله حتى غدا قطعة متحركة من الحزن ، و نجد هذه اللوعة الحسرة أيضاً تتكرر في رثاء أبنه أبي بكر فيقول : (الداية ، 1976 ، 78)

بُني أبا بكرٍ بُني أبا بكر　　وماذا عسى يغني التعلل بالذكرِ
محمد ما أشجى فراقكِ لوعةً　　محمدُ ما أدهى مُصابك من أمرِ
محمدُ في قلبي محمد في فمي　　لئن غابَ عن عيني فما غاب عن فكري

لغة القصيدة تختلف عن القصيدة التي سبقتها ، فقد ركز الرندي في هذه القصيدة على تكرار الأسم و الكنية ، للدلالة على قيمة الشخص المفقود ، فالمتلقي يحسب من الكلمة الاولى في هذه القصيدة إلى أخر الابيات بحرارة الفقد وألم الوعة ، وهذا ما وجدنا من تكرار عبارة (بني بكر) في الشطر الاول من البيت الاول وهذا أسلوب جديد لم ينظم فيه الشاعر من قبل ، و لم يقرض فيه الشعر سابقاً ، وكما كرر أسمه (محمد) في كثير من الموضوع وهذا دليل على حالة التفجع بإبنه فكرره أربع مرات في شطرين فقط من القصيدة .

وفي رثاء الأمير النصري محمد ، وقد بعثها إلى الأمير الجديد من بلده رُندة وقد جمع الشاعر في هذه القصيدة بين غرضي المديح و الرثاء ، الرثاء عندة يدور حول معاني معينة كالشخصية و خصالها فيقول فيها : (الداية ، 1976 ، 79)

يا حسرة الدين و الدُنيا على ملك قد كان حسبها لو مُد في الأجل
أصابه من وراء الحُجب ِصائبة إن المنون ِلأرمى من بني ثُعل ِ

يتحسر الرندي في هذه الأبيات على وفاة هذه الأمير الأندلسي ، و بوب هذا التحسر على جزئين الأول في الدين و الثاني للدنيا ، و على الرغم من أن الشخص المرثي في هذه الأبيات لا تربطه صلة قرابة ، لكن الشاعر أجاد في رثائه و كأنه أحد ابنائه ، كما أن لاندفاع مشاعر الحزن و تغلغلها في قرارات الشاعر كان لها دور بارز في سير جميع القصائد عنده على مستوى واحد أو متفاوت من الحزن .

رابعاً ِ: أستنهاض الأمم الأخرى :

و أغلب أشعار هذه النوع ، قيل في غرض المديح عنده، وكما جرت العاردة عند شعراء أهل الأندلس، فقد كانوا يضمنون قصائدهم المدحية بغايات عندهم ومنها أستهاض الهمم لدى الأمراء و الشعوب أو لغرض أخر، والرندي أكثر من ذلك ومن نماذج ذلك قوله : (الداية، 1976، 61)

وهم منحوا الجزيرة من حماهُم جواراً لا يذم ُو لا يضام
فمن حربٍ تشيب ُلها النواصي ومن سلم ِتحيته ُسلام ُ

وتشيع في قصائد الرندي المدحية معاني المديح المألوفة في الشعر العربي، بالأضافة إلى الجوانب و الإضافات الخاصة التي تلونها بلون أندلسي ، ومن أهم الأمور التي يطرحها الرندي في شعر المديح هي مشكلة السلطة و السلم و الحرب، فقد جمع الثلاثة معاً و جمع بين الأضداد الطبيعية المعروفة (الحرب و السلم) في البيت الثاني، مرتكزاً على الأساليب البلاغية كالتكرار

(سلم – سلام) ، لاستهاض الهمم ، و لحماية الناس من الظلم و المظالم التي قد تلحق بهم في الحاضر و المستقبل ، و المتلقي للقصيدة و الأبيات يجد إنها بيات مدحية لكن باطنها عكس ذلك تماماً ، فيحتاج المتلقي إلى أعمال ذهنه الواسعة للوصول إلى مقاصد الشاعر ، فقد نوه الشاعر إلى الحرب و السلام و أعاد ذكر عبارة السلام بشتقاق لفظه سلام ، للتأكيد على المخاطر المترتبة على هذه الجزيرة و التي تحتاج دوماً إلى الحماية من أعداء الداخل إلا و هو الظلم الذي يقع على الناس، واعداء الخارج وهم الأسبان ، داعياً إلى الحماية و السلم عبر خيط من الحزن أورده الشاعر داخل عباراة معينة يمكن أن نلمسها عبر ألفاظ (يذم – يضام) ، وله قصيدة يصف بها جيش بني الأحمر ، وما فيه من أمراء و قادة و جنود ، فيقول : (الداية ، 1976 ، 58)

وكتيبة ٍبالدارعين كثـــيفة جرت ذُيول الجحفل الجرارِ
فيها الكماة ِبنو الكُماة ِكأنــهم أسد الشُرى بين القنا الخطار
لبسوا القلوب على الدروع و أسرعوا بأكفهم نارٌ لأهل ِالــنارِ

لم يسيطر اليأس على شاعرنا في أغلب نتاجه الشعري و لم يستسلم لمظاهر الحزن ، بل حث في بعض هذا النتاج على التصدي و الدعوة إلى الجهاد ، ووصفه و مدحه للجيوش التي تخرج لمقاتلة الإسبان ، و القصيدة التي بين يدينا هي أسلوب جديد في طرح الأفكار و المعاني ، فوصف الجيش و هيئتة المحملين بالدروع و كأنهم جحافل جرارة سائرين إلى أرض النزال ، كما أعتمد الشاعر على أسلوب التكرار كما جرت العادة في أغلب أشعاره ، ونجد لمسة الحزن في هذه الأبيات عن طريق في البيت الأخير عندما لبسوا الدروع فوق القلب ، حتى لايتأثروا بمشاهد النزال العظيمة ، و ليشدوا الهمم لملاقات أهل النار لعظيم ما شاهدوه من نتكيل وقتل للمدن الأندلسية التي تسقط بيد الإسبان .

خامساً : لاشعورية الحزن في أشعاره :

اللاشعورية : هي قوى مبدعة تستطيع أن تقود الفرد في سبيل النجاح لو أحسن استثمارها وطهرت مما يحلق بها أدران الهوى ، هي أطار فكري لاشعوري ، وتعني إن الإنسان غير قادر على التحكم في شيء لا يشعر به (الوردي ، 2021 ، 39- 56) .

إن اللاشعور حقيقة واقعة لا ريب فيها ، وهو موجود وسيظل موجوداً وباقياً ، وقد تم الاعتراف به و التسليم بصحته ، وهي لبنة واضحة جديرة بالاعتبار ، و يقوله عنه إرنست جونز إن أهمية اللاشعور في الحياة الواقعية هي أن جميع الوظائف العقلية إنما تنشأ في العقل

اللاشعوري و تسكن فيه ، وكل أفكارنا و اهتماماتنا ، ودوافعنا الشعورية ، وبواعثنا الواعية ، تؤدي جميعاً إلى مسلك أو سلوك له مصدره في اللاشعور . (جادو ، د . ت ، 8 – 12)

و تقرع كلمة اللاشعور في أذن الإنسان العادي غير المختص نغمة تدل على شيء ميتافيزيقي أو على شيء يكتنفه الغموض و تحيط به السرية ، وهي دلالة على لغة التخاطب العادية ، وعرفها علماء اخرون هو كل شيء نفسي داخلي للإنسان ينجرف وراءه لاشعورياً (يونج،2017، 7)

وجسد الشاعر أبو البقاء الرندي مفهوم اللاشعور تجسيداً حقيقياً في أشعاره عن طريق أدوات الحزن و مظاهره ، من خلال قصائده التي دلت على شعوره بالفقد و الغربة و الوحدة و العزلة و تأملاته في الحياة و الموت ، و سقوط المدن و رثاء الأحبة ، كل تلك المضامين كانت تعكس مشاعره الشخصية و تترجم على الواقع عن طريق أبيات محملة بالحزن ، منجرفاً وراء هذا التيار الذي عصف به و بنتاجه الأدبي ، و المطلع على قصائد أبي البقاء يجد كيف أستخدم الشاعر أساليب متعددة للتعبير عن مشاعر الحنين و الفقد و الاغتراب ، مما يجعلها مرآة تعكس مصطلح اللاشعور عنده و بشكل و اضح و جلي ، فمثلاً له قصيده مطولة يعارض فيها المتنبي فيقول : (الداية ، 1976 ، 56)

أجاب دمعي وما الداعي سوى طللٍ دعا فلباه قبل الخيل و الإبل

حتى معارضاته الشعرية نجد ألفاظ الحزن في داخل النص فـ (الدموع و الطل) هي أدوات الحزن الرئيسية عنده ، وهذا دليل على تغلغل لاشعورية الحزن في أغلب أشعاره ، و حتى في أختياره لنص لشعار اخر فإنه نص يحتمل ظهوار الحزن و تبعاته .

وحتى في قصائدة الغزلية ، فأنه يتوجع إلى حد الموت و كأنك تقرأ مرثية لا شعر غزل يقال في محبوبة ، من نماذج ذلك قوله : (الداية ، 1976 ، 69)

يا سالب القلب مني عندما رمقا لم يبقِ حبك لي صبراً ولا رمقا

لا تسألِ اليوم عما كابدت كبدي ليت الفراقَ و ليت الحب ما خلقا

فاللاشعورية و الانجراف نحو الحزن مستمرة و متجهة بتجاه واحد إلا وهو المعاناة ، هذه الحزن الذي بدأ منذ الكلمة الأولى بالقصيدة (يا سالب القلب) ، و يستمر بعد ذلك في الأبيات التي تلتها و يصور حاله و وحال فراقه مستخدماً تكرار عبارته شرط أساسي من شروط حزنة ، وتحديداً تكرار (ليت) التي تفيد التمني ، فهو يتمنى إن الحب لم يخلق ولم يكن موجود حتى يتخلص من هذا العذاب النفسي .

الخاتمة :

1 – من أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث هو ربط الشاعر لظاهرة الحزن عنده بموضوعات أخرى حتى أصبحت لغة الحزن عنده ضرورة أساسية من ضرورات بناء القصيدة فهي مقدمة طللية أندلسية عند الرندي ، وهذا الحزن أصبح ظاهرة منتشره في أشعاره .

2 – إن الحزن الذي عصف بالرندي كان بواعثه عديدة ، منها بواعث سياسية وأخرى اجتماعية و ثالثة ذاتية ، و برزت أهم معاني الحزن عنده في تجارب عديدة ، كان على رأسها الغربة و سقوط المدن و الرثاء و العزلة .

3 – كانت الغربة و سقوط المدن النصيب الأكبر من تسرب اليأس و الألم إلى نفس الشاعر ، خصوصاً عندما يصور المعاناة و المكابدة و الأذلال التي قد تلحق النفس الإنسانية نتيجة الابتعاد عن وطنه و سقوط هذه المدن .

4 – ظهرت براعة الشاعر و تمكنه في الأساليب البلاغية واضحة في جميع النصوص الشعرية ، فقد تنوعت هذه الأساليب و تعددت و أظهر مدى براعته في توظيفها داخل النص ، ومن أهم هذه الأساليب هي التكرار و التشبيه و الاستطراد و الإسترسال ، فهو شاعر مكثر في نتاجه الشعري ، و يميل إلى القصائد ذات المقطوعات الطول ، ليستطيع إن يوصل الفكرة المراد إيصالها إلى المتلقي .

5 – كانت مشاعر الحزن عند الرندي في أشعاره ، تُعبر عن ذاته و إحساسه في بعض القصائد ، و تجاوز هذه الذاتية في قصائد أخرى ، حيث ترجمها إلى نكبات عاشتها الأندلس في تلك العصور ، و هذه الذاتية كانت محصورة في قصائد محددة .

6 – الأغراض الشعرية عنده كانت لا تخضع للوحدة الموضوعية في الطرح ، لذا كان يمزج الوصف و المدح و الغزل بموضوعات أخرى وكان على رأسها الحزن و اللوعة و التحذير و شحذ الهمم ، لذلك كانت قصائدة تُعد من الموطولات حيث وفرت الأرضية المناسبة لطرح الأفكار و الوصول للهدف الأساس عنده .

7 – كانت عند الرندي نظرة مستقبلية عن التواجد الإسلامي في هذه الجزيرة ، لذا سخر أشعاره بمختلف الاغراض للتنبيه و التحذير ، و انجرف معها في معظم القطع الشعرية ، وهذا يفسر ظهور أتجاه اللوعة و الحزن في نتاجه .

المصادر و المراجع :

1 – القران الكريم .

2- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت 711 هـ) ، (1999) ، لسان العرب ، المادة حزن ، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 13 ،ط1 .

3- الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل ، (2003) ، العين ، ت : عبد الحميد الهنداوي و مهدي المخزومي ،ج ، 3 ، منشورات محمد علي بيوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

4 – الجرجاني ، الشريف ، التعريفات ، 1983 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

5 – اسماعيل ، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر قضاياع و ظواهره الفنية و المعنوية ، د.ت ،الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان .

6 - التلمساني ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، فح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ج 4 ، ت : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، 1997 .

7 - ضيف ، شوقي ، تاريخ الادب العربي ، ج 8 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995 .

8 – الداية ، محمد رضوان ، أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1976 .

9 – الوردي ، علي ، خوارق اللاشعور ، الدار البيضاء ، بيروت ، 2021 .

10 – يونج ، كارل ، دور اللاشعور و معنى علم النفس للإنسان الحديث ، جمعة و ترجمة ، نهاد خياطة ، مؤسسة هنداوي 2017 .

11 – جادو ، عبد العزيز ، في ضوء علم النفس الحديث – الشعور و اللاشعور عند فرويد وآدلر ويونج ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، د. ت .

المصادر العربية باللغة الانكليزية

1- The Quran .

2- Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Ibn Makram (d. 711 AH), (1999), Lisan al-Arab, the word "Hazn", Dar Sadir, Beirut, Lebanon, Vol. 13, 1st ed .

3- Al-Farahidi, Abu Abdul Rahman Al-Khalil, (2003), Al-Ain, T: Abdul Hamid Al-Hindawi and Mahdi Al-Makhzoumi, Vol. 3, Publications of Muhammad Ali Bayoud, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Beirut, Lebanon .

4 - Al-Jurjani, Al-Sharif, Definitions, 1983, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Beirut, Lebanon.

5- Ismail, Ezz El-Din, Contemporary Arabic Poetry, Its Issues and Artistic and Moral Phenomena, n.d., Third Edition, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Beirut, Lebanon .

6- Al-Tilimsani, Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad al-Maqri, The Good Facts of the Wet Branch of Andalusia, and the Mention of Its Minister Lisan al-Din Ibn al-Khatib, Vol. 4, T: Ihsan Abbas, Dar Sadir, Beirut, 1997 .

7- Daif, Shawqi, History of Arabic Literature, Vol. 8, Dar Al-Maaref, Cairo, 1995 .

8- Al-Dayah, Muhammad Radwan, Abu al-Baqa al-Rundi, the poet of Andalusian elegy, first edition, Beirut, 1976.

9- Al-Wardi, Ali, The Supernatural of the Unconscious, Casablanca, Beirut, 2021 .

10- Jung, Carl, The Role of the Unconscious and the Meaning of Psychology for Modern Man, Collection and Translation, Nihad Khayata, Hindawi Foundation 2017 .

11- Gado, Abdel Aziz, In the Light of Modern Psychology - Consciousness and Unconsciousness in Freud, Adler and Jung, Modern University Office, Alexandria, n.d.

Manifestations of sadness in the poetry of Abu al-Baqa al-Rundi - Analytical study

Dr .Ahmed Mahdi Hamad

College of Basic Education

University of Wasit

Gmail ahhamad@uowasit.edu.iq

Keywords: sadness, Abu al-Baqa al-Rundi, Andalusia, analytical study

Summary:

This study attempts to explore the manifestations of sadness in the poetry of Abu al-Baqa al-Rundi. It is an analytical study whose primary goal is to shed light on sadness and its impact on al-Rundi's poems and his poetic experience, while revealing the themes of sadness in those poems. This study also aims to demonstrate the artistic value of those poems. To highlight the objectives of this study, the researcher adopted the psychological approach in certain places as it is the approach most closely related to the phenomenon of sadness, while relying entirely on the descriptive analytical approach in analyzing these texts and revealing their artistic characteristics and the rhetorical techniques that the poet skillfully employed. This phenomenon formed a prominent and striking presence in most of al-Rundi's poetic experiences, because it had subjective and objective motives that led to the prevalence of this phenomenon in his poetry. This study also contributes significantly to understanding how sadness is embodied in Arabic poetry and sheds light on the psychological and aesthetic dimension of the experience of sadness in al-Rundi, thus enhancing the value of this type of literature in the context of literary.